بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠٠١)

المقدمة الأولى بين يدي التعليق على الكتاب.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، واستن بسنته.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[مقدمة]

أما بعد: فقد سبق أن جرى الحديث حول ما ينبغي أن يهتم به طالب العلم، وجرى الحديث على ذكر بعض مقتطفات والنقول فيما يتعلق بتاريخ هذا البلد -تاريخ الجزائر- ووقع الاتفاق على أن نقرأ في ذلك كتابا وإن كان هذا الكتاب مطولا، ولكن شيئا فشيئا سنأتي على مادة الكتاب بإذن الله تبارك وتعالى، والكتاب هو "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لأحد الأئمة الأعلام من علماء هذا البلد، الشيخ المبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد استحسنت أن أذكر بين يدي الكتاب شيئا مما يتعلق بهذا العلم، ألا وهو علم التاريخ، وقد يأخذ منا نحو مجلسين، مجلسنا هذا، ولعله أيضا مجلسا آخرا، والتاريخ علم واسع ومتجدد بتجدد الزمان، وهو متنوع الفروع، لأنه لا يقتصر على ذكر أخبار بلد دون آخر، أو قطر دون آخر، ولا على ذكر أحوال عالِمٍ أو علماء، أو أديب أو أدباء، أو شاعر أو شعراء، أو أعيان، أو رئيس أو رؤساء، أو غير ذلك، بل إنه يعمّ الجميع، فهو علم جدّ واسع، ومتجدد أيضا لتعلقه بالزمان.

[تعريف التاريخ]

وأصل هذه المادة (التاريخ) مأخوذ من أرّخ الشيء، يقال (أرّخ) ويقال أيضا (ورَّخَ)، وهما لغتان، فيصح (أرّخ يؤرّخ تأريخا) ويصح (ورّخ يورّخ توريخا) ومنه التواريخ، وقيل(أرّخَ) هي لغة قيس، و(ورَّخَ) هي لغة تميم، والمراد بالتاريخ، والتوريخ هو: الإعلام بالوقت، أو التعريف بالوقت، ومثله التوريخ.

وأما في اصطلاح أهل العلم بهذا الفن فذكروا له تعاريف، الإمام المقريزي رَحِمَهُ اللهُ قال **(التاريخ الإخبار عما حدث في العالم في الزمان الماضي)** المقريزي له كتاب في الخطط، مشهور ذكر فيه جملة من التاريخ، الإمام السخاوي له أيضا كتاب يسمى "**التوبيخ لمن ذم التاريخ**" فذكر فيه تعريف التاريخ كذلك، وقال **(التاريخ هو التعريف بالوقت وضبط الأحوال من ولادة ووفاة، وصحة، ورحلة، وحج .. وغير ذلك)** فهو تعريف بالوقت، وبأحوال الذين لهم حوادث ووقائع في ذلك الوقت، **(فالتاريخ فنّ يبحث فيه عن وقائع الزمان، من حيث التعيين والتوقيت بل وعمّا كان في العالَم)**، هذه حقيقة التاريخ كما قال السخاوي.

من العلماء من عرّف التاريخ بحقيقته وغايته، ومنهم الإمام العلامة ابن خلدون، وهو من هذه الديار، فقال: **فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال**، قال: **وهو له ظاهر وباطن فظاهره لا يزيد عن ذكر أخبار الأمم، وأحوالهم وأيامهم، وسوابقهم من القرون الأول وذكر أقوالهم وما كان من شأنهم ومن شأن الخليقة من أولها وما تتقلب فيه من الأحوال، واتساع الدول وتوسّع نطاق مجالها، ومدى سعتها إما في الآفاق وإما في الآجال إلى أن ترتحل هذه الدول**، فهذا في ظاهره، لكنه في باطنه -أي علم التاريخ- **فيه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها وما يستفاد منها**، فهذا هو باطن علم التاريخ، وهو **(علم بكيفيات الوقائع، وأسبابها)** فالتاريخ له ظاهر وباطن، ولهذا يمكن أن يعرّف بحقيقته وغايته، فيقال **(التاريخ علم إنساني نظري)** لأنه يتعلق بالجانب النظري، ليس فيه شيء يطبّق إلا في جانب الغاية، وإنما هو في الحقيقة علم نظري، يعني يتعلق بالنظر، وحكاية أحوال ونقل أخبار ووقائع، إنساني، يبحث فيه عن حوادث الزمان من حيث التعيين والتوقيت، متى كان، وأي وقت، والمكان، ونحو ذلك، ومن حيث التفسير والتعليل، أي أن تُفسّر الحوادث وأن تُعلَّل، لم وقعت؟ وما سببها؟ وما نتائجها؟ وما يستفاد منها، فهذه هي حقيقة التاريخ.

[موضوع علم التاريخ]

لذلك ما هو موضوعه؟ موضوع التاريخ هو الإنسان والزمان -وإن شئت أيضا- والمكان، فالإنسان من حيث اختلاف أحواله، وتجددها، وتعدد أحواله في جميع الجوانب: اجتماعية، اقتصادية، الأمنية، السياسية، التجارية، العلمية، الأدبية، فيتعلق التاريخ بنقل الحدث وروايته، وأيضا بتفسيره وتعليله، هذه حقيقة علم التاريخ.

[فائدة علم التاريخ]

وهذا العلم لا شك ولا ريب أن فوائده عظيمة وجليلة وكثيرة، فالتاريخ له غاية، وله هدف، وله فوائد، فغايته سامية، ليست هي مجرد نقل أخبار وحوادث، هذا غير صحيح، التاريخ له غاية سامية وهدف عال، ولذلك فقد ذكر الله قصص السابقين، وجعل فيها عبرة {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى}يوسف١١١، فأخبار السابقين فيها عبر، لأنها حوادث لها أسباب، ولها وقائع، وتكتنفها أحوال، وتكتنفها تصرفات وتترتب عليها نتائج، فتدرج هذه المواصفات ليستفيد منها الإنسان.

الحادثة التي فيها شر ما سببها؟ وما الدافع إليها؟ وما نتيجتها؟ ومن الذي تسبب فيها؟ فيستفاد من هذا الشر ليُدفع، وكذلك من الخير ليُرتكب وليُسعى في تحقيقه، ولذلك سنذكر جملة من فوائد وغاية معرفة هذا العلم ألا وهو التاريخ، وهذا شيء سيعيننا، ويساعد في قراءة الكتاب، وفهم الكثير مما سيذكر فيه، وإن كان الكتاب فيه ذكر بعض المباحث التي قد يستغنى عنها، وإنما هي للمتخصص كذكر التضاريس وجغرافيا البلد، ومعادنه وما فيه من ثروة حيوانية، ونقدية، ومعدنية ونحو ذلك، هذا لعله نتجاوزه لاحقا إن شاء الله تعالى.

من الغايات العظيمة في دراسة علم التاريخ، معرفة السنن الربانية، السنن الربانية إضافة إلى الرب، لأنه هو الذي قضاها، وقدّرها بأن تكون، قال تعالى {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ}آل‌عمران١٣٧، { قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} أي طرق، وحوادث لكم فيها عبرة، ولكم فيها فائدة، ولكم فيها انتفاع، قال ﷻ {اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ

{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً}فاطر٤٣، سنة سنها الله وقضاها وقدّرها فهي كائنة لا محالة، ولن تبدّل ولا تحوّل أبدا، ومما قدره وقضاه وسنّه تعالى أن الغلبة للعدل وأهله، والغلبة على الظلم والظالم وأهله، هذه سنن ربانية {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا}غافر٥١ {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} الصافات ١٧١-١٧٣، {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}محمد٧.

{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}آل عمران١٣٧، لماذا تنظر عاقبة المكذّب؟ كذّب فكان مآله كذا، وصدّق فكان مكانه كذا، هذه سنة ربانية، ففائدة دراسة التاريخ معرفة هذه السنن الربانية، لنستفيد منها.

[أقسام السنن]

هذه السنن منها:

١= سنن هي خارقة للعادة، كالآيات التي يؤيَّد بها الرسل، وككرامات الأولياء، وهذه لا شك ولا ريب يستفاد منها، ويعرف بها صدق هؤلاء الأنبياء والرسل، لأن الله أيدهم بالآيات، وكذلك صدق الأولياء، لما أجري على أيديهم من كرامات.

٢= وهناك سنن هي جارية على الطبيعة، كتعاقب الليل والنهار، والكواكب والنجوم والقمر فهذه سنن كونية، والنظر فيها يستفاد منه كما أمر تعالى { فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}آل عمران١٣٧، أي تفكروا وقال جل وعلا {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}يونس١٠١.

٣= وفيه سنن جارية شرعية، وهي متعلقة بأمر الله ﷻ ونهيه، ومتعلقة بوعده ووعيده، كنصرته لأوليائه، ومعاقبته لأعدائه، وكابتلائه لبعض عباده، هذه سنن جارية وفق أمر الله ونهيه، ووفق وعد الله ﷻ ووعيده.

وهذه السنن -وهنا تظهر فائدة التاريخ- التي أجراها الله ﷻ، لو أن الإنسان يحياها من أولها إلى آخرها، قد لا يدرك آخرها لأنها طويلة، قصة نوح، وآدم، وقوم لوط، وإبراهيم، وموسى وعيسى، وإسماعيل،

وإسحاق، وأيوب، وداود وسليمان، ويوسف ويعقوب، هذه قصص طويلة كيف يستفاد منها؟ فمعرفتها من أولها إلى آخرها يكون بحكاية مجرياتها، فتستفيدها، أما أن تعيشها من أولها وآخرها قد لا تدرك آخرها، فيطول ذكرها ويطول وقتها ولهذا إنما تُعرف بالاطلاع على مجرياتها التي نُقلت في الأخبار الصحيحة الثابتة الصادقة، فيستفاد منها، بالنظر في هذه التواريخ، وكتب التاريخ وفي هذا قال الله تبارك وتعالى {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ}الأنعام٦، هذا من سنن الله ﷻ الجارية، وهذا مما حكاه الله ونقله ﷻ لنا، وهذا داخل في علم التاريخ، سنة جارية يستفاد منها، كيف فعل الله بهؤلاء؟ {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم} بم؟ {بِذُنُوبِهِمْ} ماذا نستفيد؟ أن الهلاك يكون بسبب الذنوب، فيستفيد المسلم أنه يجتنب الذنوب، وذنب واحد قد يعاقب عليه الجمع.

وهذه الأخبار كما جاءت في الكتاب جاءت في السنة، وقد أخبرنا النبي ﷺ في سنّته خبر يوشع بن نون عليه السلام، وخبر موسى ﷺ لما غزوا بأقوامهم وجمعوا الغنيمة ولم تنزل النار لتأكلها، وكان في الشرائع السابقة أن المسلمين إذا غلبوا الكفار، واغتنموا منهم وغنموا غنائم جمعوها فنزلت النار فأكلتها دليلا على قبولها، وأنها متقبلة عند الله، فلما لم تحرق ولم تؤكل من النار هذه الغنائم، عُرف أن فيهم الغلول، وإنما غلّ رجلان من قبيلة من القبائل، فكان عدم قبول العمل بسبب ذنب من الذنوب { فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ}، فإذن احذر أن يكون الهلاك بسبب ذنب أنت ترتكبه كما قال جل وعلا.

فإذا عرفت السنن الشرعية، كان التجاوب معها أمرا ونهيا، فتمتثل الأمر لأن عاقبته الحسنى، وتجتنب النهي لأن عاقبته السوء، قال الله ﷻ في قصة الرماة الذين جعلهم النبي ﷺ على جبل أحد {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ} تقتلونهم {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ} النصرة والغلبة والغنيمة وفر المشركون {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} آل عمران١٥٢، كان هذا بسبب معصية أمر من أوامر رسول الله ﷺ.

كما أن هذه السنن الجارية بأمر الله وشأنه ووعده ووعيده يعرف بها أسباب الحوادث، وتفسير هذه الأسباب، وذلك يعطينا بصيرة ومقدرة على تحليل الأحداث، وعلى طمأنة النفس في ذلك، فنعرف سوء عاقبة المكذبين، والله ذكر لنا قصصا كثيرة، ذكر لنا قصة ابني آدم وقوم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط وهود وصالح وشعيب وداود وسليمان وأيوب وموسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء والرسل، كيف أن أقوامهم كذّبوهم فكان مآلهم الهلاك عياذا بالله تعالى.

ونعرف بذلك أن الأيام دولٌ بين الناس {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}آل عمران١٤٠، {قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}آل عمران١٣٩–١٤٠، هذا مما يستفاد من التاريخ.

ويُعرف أن زوال الأمم بانتشار الفساد والظلم، قال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}يونس٨١، وقال جل وعلا {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً}الإسراء١٦، ونعرف من السنن الجارية أيضا أن التغيير لا يكون إلا من فعل الإنسان قال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}الرعد١١، وقال تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ}الأنفال٥٣، وقال تعالى {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}آل عمران١٦٥، وقال ﷻ {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ}محمد٧، و {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}غافر٥١، {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}الصافات١٧١.

مما يعرف كذلك من السنن الجارية بأمره ونهيه ووعده ووعيده سنة يسميها أهل التاريخ "سنة التدافع" وهذا كان من الزمن الأول، وهو المدافعة بين الحق والباطل، {وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ}البقرة٢٥١، في قراءة {ولو لا دفاع الله الناس بعضهم ببعض}، وفي الآية الأخرى {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}الحج٤٠، فيدفع الله بأهل الحق أهل الباطل، يندفع شرهم، ويظهر خير أهل الحق وما عندهم من دعوة صالحة.

هذه فائدة أولى من فوائد علم التاريخ وهي معرفة السنن الكونية الربانية.

كذلك من الفوائد التعرف على معالم تاريخية إنسانية، يعني كيف كان أمر الناس؟ وكيف كان حالهم؟ وهذا مما تتشوق له الأنفس والأسماع يتشوقون أن يسمعوا كيف كان أمر الناس وحالهم، ولكن بالأخص والأهم ما يتعلق بسير الصلحاء، بدءً بالأنبياء والرسل وسيرة نبينا محمد ﷺ وتاريخ الخلفاء الراشدين، وتاريخ الصحابة، وسير العلماء، والدعاة والمصلحين، وأثر هؤلاء على الحياة البشرية، قال تعالى {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}الجمعة٢، فنعرف خيرية الإسلام على الأمة وعلى البشرية، ونعرف شر أهل الإلحاد والكفر والوثنية على الحياة البشرية جميعها، وإذا دُرس أحوال الجاهلية وما عندهم من الباطل، وما عندهم من جوانب مظلمة عُرف ما فيهم من شر، وما فيهم من ضلال، وعُرف عند ذلك حاجة البشرية إلى الوحي الإلهي، وإلى الأنبياء والرسل، وهذه فائدة أخرى من فوائد الحديث، وهي تأكيد جملة من الحقائق في حياة البشر.

لأنه إذا تعرفت على أحوال التاريخ تكتشف الحقائق التي تؤكد لك جملة من الأمور المهمة، ومنها أن التوحيد هو أصل الأصول في حياة البشر، والشرك طارئ على الأمة، أول من أنزل الله إلى الأرض آدم، وكان التوحيد في ذريته إلى غاية نوح، وما بينهما عشرة قرون قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ}البقرة٢١٣ هذا الاختلاف متى وقع؟ في قوم نوح، فمن آدم إلى نوح كلهم على التوحيد، فالأصل في حياة البشر التوحيد، والشرك طارئ عليهم، كما جاء في الأثر عن ابن عباس في تفسير الآية التي ذكرت.

ومن الحقائق التي تتأكد لنا معرفة وحدة أصل البشرية، وأن أول مخلوق هو آدم ﷺ أدخله الله جنته، ثم أهبطه إلى الأرض، وذلك لحكمة أرادها الله ﷻ.

ومن الفوائد في هذه الجزئية معرفة استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض، ليقوم بعبادة الله ﷻ وبتوحيده، وإنما شذ عن ذلك الكفار، فهؤلاء أهل شذوذ عن الأصل الذي خلق له البشر، ولهذا الشذوذ

في هذه البشرية من الكافر، ومن الملحد، ومن الوثني، ومن المشرك، الشذوذ من العاصي والمخالف، وأما الباقي على أصل التوحيد والعبادة والدين، والحشمة والحياء هذا باق على الأصل الأول، وغيره طارئ عليه، وقد قال ربنا تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}النور٤١، الكل يسبح لله، فالخارج عن التسبيح لله ﷻ خارج عن الأصل الذي خلقت له البشرية.

ومن جملة الحقائق التي تتأكد لك حاجة الأمم إلى الأنبياء والمصلحين، والمرسلين والعلماء والأتقياء، وهذا إنما يعرف ويظهر بدراسة التاريخ، فيدرى ما وصل إليه أهل الشرك والإلحاد والمعاصي والفسق والفجور، من ضلال وانحراف وظلام وظلامية، وتُعرف عند ذلك حاجتنا الملحة والأكيدة إلى الوحي الذي هو روح وحياة القلوب، فهذا يعرف مما يعرف من دراسة التاريخ.

من الفوائد أيضا من خلال ما سبق، أن نحصل حصانة فكرية تقينا بإذن الله من الانحراف عن منهج الله تبارك وتعالى، فإذا تعرفنا على الحقائق التي سبقت، وتعرفنا على حقائق الأشياء والأمور والباطل وظلمته، وضلاله، فهذا يحصننا فكريا أو عقديا من الانحراف عن منهج الله تبارك وتعالى.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية استغل واستفاد من هذا الجزء، فلما ناقش من ناقش في المشاهد القبورية التي يطوفون بها، كالمشهد الحسيني بالقاهرة، قال: هذا لم يكن في زمن النبي ﷺ، ولا الصحابة ولا التابعين، ولا الأتباع، فلماذا لم يكن في هذه القرون الخيرية وكان بعد ذلك؟! فهل هذا خير استدركتموه عليهم؟ أو خير فاتهم؟ أو هو ضلال قادكم إليه الشيطان؟ فهذا مما يستفاد من أمور تاريخية.

كذلك من الفوائد والغايات أن دراسة التاريخ يساعد على فهم الحاضر وتعليله، للتخطيط للمستقبل، والنجاة في المستقبل مما وقع فيه من سبق، فتفهم الماضي، وتستثمر هذا الفهم من الأحداث والوقائع للمستقبل، ولهذا كان من أمثال العرب الجارية (**ما أشبه الليلة بالبارحة**) ويقول علماء التاريخ (**التاريخ يعيد نفسه**) وإن كانت هذه المقولة بعضهم يعترض عليها، ولكن لها جانب كبير من الواقعية والصحة، وقد قال الله تبارك وتعالى {وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}البقرة١١٨، وقال تعالى {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ}فاطر٤، فهذا مما عرف من شأن المعاندين من قبل، قال تعالى {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ}الذاريات٥٢-٥٣، يعني أن هؤلاء الأقوام كلما جاءهم نبي قالوا: ساحر، مجنون، كذاب، شاعر، هؤلاء هل يتواصون بهذه الفرية التي يرمون بها الأنبياء والرسل {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }الذاريات٥٣.

ومن الفوائد وهو آخرها أن يكتسب القارئ لهذا العلم -علم التاريخ- التفكير التاريخي، فيتعرف على الأحداث وأسبابها ويبحث لها عن تعليل وتفسير، ويدرك تطورها، ومراحل سيرها، فيتعلم من ذلك فوائد: عدم العجلة، ولزوم التأني، عدم الجزم بالنتائج والنهايات، ربط الأمور بعواقبها، تفسير الحوادث على وفق السنن الربانية، والسنن الربانية ثابتة منضبطة، فهذا مما يستفاد كذلك.

هذا شيء مقتضب من فوائد وغايات التاريخ، وقد أطلنا قليلا، لعلنا نرجئ ما تبقى لدرس لاحق، على كل سيأخذ منا مجلسين أو ثلاثة، ثم نشرع في قراءة الكتاب إن شاء الله تعالى، ولعله في بداية القراءة تجدون شيئا من الثقل، لكن لما نتوسط في الكتب ستجدون إن شاء الله متعة فيما تجدون أو تسمعون من أخبار التاريخ والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.